فتح القسطنطينية وعلامات أخرى

روى مسلم في صحيحه بما نصه:

«حدّثني زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا مُعَلَّى بْنُ مَنْصُورٍ. حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ. حَدَّثَنَا سُهَيْلٌ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَنْزِلَ الرُّومُ بِالأَعْمَاقِ، أَوْ بِدَابِقَ. فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ. مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ. فَإِذَا تَصَافُّوا قَالَتِ الرُّومُ: خلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبُوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ. فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا. وَاللهِ لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا، فَيُقَاتِلُونَهُمْ، فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ أَبَداً. وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ، أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللهِ. وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ. لَا يُفْتَنُونَ أَبَداً. فَيَفْتَحُونَ قُسْطُنْطِينِيَّةَ. فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ، قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ، إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ. فَيَخْرُجُونَ. وَذَلِكَ بَاطِلٌ. فَإِذَا جَاؤُا الشَّأْمَ خَرَجَ. فَبَيْنَمَا هُمْ يَعِدُّونَ لِلْقِتَالِ، يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ، إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَيَنْزِلُ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ. فَأَمَّهُمْ. فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللهِ، ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ. فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّىٰ يَهْلِكَ. وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللهُ بِيَدِهِ. فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ»**.

وروى: «حدّثنا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ اللَّيْثِ. حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ. أَخْبَرَنِي اللَّيْثُ بْنُ سعْدٍ. حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ عُلَيٍّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ الْمُسْتَوْرِدُ الْقُرَشِيُّ، عِنْدَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ يَقُولُ: **«تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ»**. فَقَالَ لَهُ عَمْرٌو: أَبْصِرْ مَا تَقُولُ. قَالَ: أَقُولُ مَا

سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ. قَالَ: لَئِنْ قُلْتَ ذٰلِكَ، إِنَّ فِيهِمْ لَخِصَالاً أَرْبَعاً: إِنَّهُمْ لأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فَتْنَةٍ. وَأَسْرَعُهُمْ إِفَاقَةً بَعْدَ مُصِيبَةٍ. وَأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ. وَخَيْرُهُمْ لِمِسْكِينٍ وَيَتِيمٍ وَضَعِيفٍ. وَخَامِسَةٌ حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ: وَأَمْنَعُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ»[1].

كلام للنووي:

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ في شرح الأحاديث هذه ما نصه:

«قوله ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق أو بدابق»** الأعماق بفتح الهمزة وبالعين المهملة ودابق بكسر الباء الموحدة وفتحها، والكسر هو الصحيح المشهور، ولم يذكر الجمهور غيره. وحكى القاضي في المشارق الفتح، ولم يذكر غيره، وهو اسم موضع معروف قال الجوهري: الأغلب عليه التذكير والصرف لأنه في الأصل اسم نهر، قال: وقد يؤنث ولا يصرف والأعماق ودابق موضعان بالشام بقرب حلب، قوله ﷺ: **«قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا»** روي سبوا على وجهين فتح السين والباء وضمهما قال القاضي في المشارق: والضم رواية الأكثرين قال: وهو الصواب قلت كلاهما صواب، لأنهم سبوا أولاً، ثم سبوا الكفار، وهذا موجود في زماننا، بل معظم عساكر الإسلام في بلاد الشام ومصر سبوا، ثم هم اليوم بحمد الله يسبون الكفار، وقد سبوهم في زماننا مراراً كثيرة يسبون في المرة الواحدة من الكفار ألوفاً ولله الحمد على إظهار الإسلام وإعزازه. قوله ﷺ: **«فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم»**. أي: لا يلهمهم التوبة. قوله ﷺ: **«فيفتتحون قسطنطينية»**. هي بضم القاف وإسكان السين، وضم الطاء الأولى، وكسر الثانية، وبعدها ياء ساكنة ثم نون هكذا ضبطناه وهو المشهور ونقله القاضي في المشارق عن المتقنين والأكثرين وعن بعضهم زيادة ياء مشددة بعد النون

(1) صحيح مسلم 8/ 175، 176.

وهي مدينة مشهورة من أعظم مدائن الروم قوله: (حدثني موسى بن علي عن أبيه) هو بضم العين على المشهور وقيل: بفتحها وقيل: بالفتح اسم له وبالضم لقب وكان يكره الضم»[1].

مرويات أخرى:

وقد جاءت أحاديث عن الرسول ﷺ في شأن القسطنطينية، وفيها بيان لسياق هذا الفتح وتاريخه؛ فمن ذلك ما رواه الإمام أحمد في مسنده ونصه:

«حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا زيد بن الحباب ثنا عبد الرحمن بن ثوبان حدثني أبي عن مكحول عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «**عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطينية وفتح القسطنطينية خروج الدجال ثم ضرب على فخذه أو على عنكبه ثم قال: إن هذا لحق كما أنك قاعد**»[2].

وروى أيضاً حديثاً آخر عن الملحمة الكبرى وعن فتح القسطنطينية فقال:

«حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا أبو المغيرة وأبو اليمان قالا: ثنا أبو بكر حدثني الوليد بن سفيان بن أبي مريم عن يزيد بن قطيب السكوني عن أبي بحرية، قال أبو المغيرة في حديثه عن عبد الله بن قيس قال: سمعت معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «**الملحمة العظمى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال في سبعة أشهر**»[3].

ترتيب الحوادث ورواية للطبراني:

ويفهم من هذا أن ترتيب الحوادث يكون بأن يكون ثمة عمران لبيت المقدس أولاً ثم في هذه المهمة يكون خراب يثرب، ويتلوها مباشرة التصافُّ

---

(1) شرح النووي على صحيح مسلم 18/ 20 ـ 22.
(2) مسند أحمد، مؤسسة قرطبة، مصر 5/ 232.
(3) السابق 5/ 234.

بين المسلمين والروم وهو الملحمة الكبرى وهي مقارنة لفتح القسطنطينية كما ظهر من حديث مسلم في مطلع الباب، وبعد ذلك يكون خروج الدجال. والحديث الثاني يخبر عن الفترة التي تتم فيها الملحمة الكبرى والفتح وخروج الدجال، فهي شهور سبعة معدودة، وربما كانت هذه الحوادث كلها على مدى سنة واحدة.

وروى الطبراني في مسنده ما يلي:

«حدثنا محمد بن حسان المازني ثنا محمد بن إسماعيل الوساوسي ثنا رواد بن الخراج العسقلاني ثنا الوضين بن عطاء حدثني عبد الأعلى بن الحكم الكلابي قال: ثم أتيت دار أبي موسى فإذا حذيفة وابن مسعود فوق إجار فارتفعت، فمنعني غلام فنازعته فقال أبو موسى: خل عن الرجل فإذا عنده مصحف أرسل به عثمان، فكان بينهم كلام فذكر حذيفة ملك بني أمية ثم قال: كيف أنتم إذا سار المسلمون معهم الفؤوس والمعاول حتى يبلغون القسطنطينية مدينة الملك هرقل فينقضونها حجراً حجراً على لسان محمد ﷺ قلنا: في زمن بني أمية قال: لا ولكن على يدي فتى من بني هاشم كيف أنتم إذا سار المسلمون معهم السبابجة حتى يعلقون حمدان مدينة الصين، فينقضونها حجراً حجراً على لسان محمد ﷺ قلنا: في زمن بني أمية قال: لا ولكن على يدي فتى من هاشم. لا أعلم جيشاً خيراً منهم إلا جيشاً كان مع رسول الله ﷺ فذكرت ذلك لكعب فقال: ما أعلم جيشاً أعظم أجراً من جيش يأتون الصين فيجيئون بملوك الصين وملوك العقبة في السلاسل فإذا جاؤوا بهم وجدوا ابن مريم قد نزل الشام»[1].

وهذا النص يخبرنا أن قسماً من جيش المسلمين يدركون سور الصين أثناء فتح القسطنطينية وهو بيان آخر للملحمة التي نحن صدد ذكرها.

---

(1) مسند الشاميين: 1/ 386. والإجّار: السطح. والسبابجة: جمع سُبْجَة؛ وهي الأكسية السوداء.